سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بعض الوثائق الأصلية تالفة

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بالرسالة صفحات لم ترد بالأصل

جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

فن السيرة
في القرآن الكريم

رسالة معدة لنيل درجة الماجستير

بإشراف : الأستاذ الدُّكتور محمود سالم محمد

إعداد الطالبة: عزة لؤي حلبي

B
١٦-٦٩

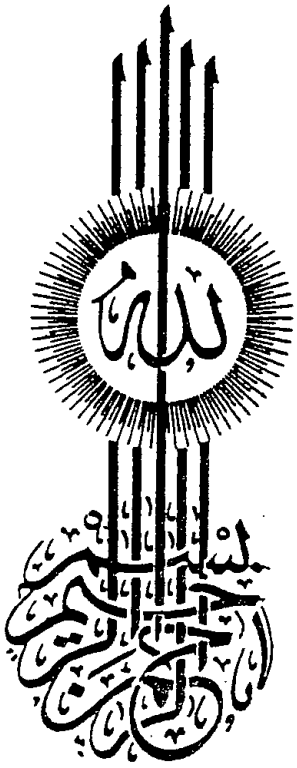
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إليكَ: يا من ضاقت بك الدنيا فودعتها وسكنت فؤادي.
- انسلت صورتك من أعين البشر لترتسم في قلبي وعقلي ووجداني وتتمثل لي في طريق حياتي.
- إليك يا من اشتاقت عيني لرؤيتك، وأذني لصوتك، وقلبي لحنانك.
- إليكَ أيها الغائب الحاضر أبداً. يا من تركتني غرسةً صغيرة افتقدتك، فنمت وفي عينها دمعة، وفي قلبها غصة، وأهدتك ثمرةً هي من صنع يديك.

والدي الحبيب أسكنك الله فسيح جنانه

- إليك: يا من يستمد الحب معانيه من قلبك الطاهر، ويرتوي العطاء من نبعك الصافي الذي لا ينضب. ويأوي الحنان إلى صدرك الدافئ فيجد فيه مهده.
- إليك يا من أمسكت أناملك قلمي الصغير وأبحرت به في عالم (اقرأ).
- أنا غرستك الصغيرة التي تغذت بحبك، وارتوت من نبع عطائك واستظلت بحنانك، فكبرت بفضلك، وأهدتك ثمرة هي من صنع يديك.

والدتي الحبيبة أطال الله بقاءك وأدامك

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن (السيرة) فن أدبي ممتع، تهواه النفس البشرية، وتنجذب إليه، لعدة أسباب؛ منها أنه يرضي فضولها عندما يطلعها على حياة الآخرين، وهو أمر جُبلت عليه. ومنها أنه يخاطبها بطريقة تنسجم معها، وتستجيب لها، إذ لا يصدمها بالحقائق، ولا يثقل عليها، أو يواجهها مباشرة بالعبر والدروس والنصائح، بل يهمس إليها همساً، ويوحي إليها إيحاءً بكل هذا، ومن خلال أشخاص سرت فيهم روح الحياة من جديد، فراحوا يمثلونها كما عاشوها في يوم من الأيام.

وهكذا تعيش النفس الإنسانية حالة تطهير، كتلك التي تعيشها عند مشاهدة المسرح، إلا أنها في فن السيرة، أشد تأثيراً، وأبعد غوراً، لأنه فن يقدم مسرح الحياة بكل وقائعه وواقعيته وصدقه.

هذا ما يمثله لي فن السيرة، ولذلك وجدتني، مشدودة إليه، متلهفة لخوض غماره. أما أني اخترت دراسته من خلال القرآن الكريم فلعدة أسباب أجملها بما يلي:

١- القرآن الكريم هو أعلى نص في اللغة العربية نظماً وفصاحة وبلاغة، وأدباً ومع ذلك انصبت جهود الباحثين منذ القرن الأول الهجري، على دراسة الجوانب الأولى بما فيها النظم، واللغة، والفصاحة والبلاغة، أما الجانب الثاني (الأدب) فلم ينل حظه الوافي من اهتمام الباحثين ودراستهم، إلا في بعض ألوان الأدب، مثل القصة (التي درست بكثرة)، والأمثال.. إلى جانب تناول الآيات الكريمة بالدراسة الأدبية.

ولكن ظلت ألوان الأدب وفنونه المختلفة في القرآن الكريم، بعيدة عن أقلام الأدباء والكتاب وكان لا بد أن يدرس أحد هذه الأنواع.

٢- تحدى القرآن الكريم منذ الوهلة الأولى لنزوله، العرب جميعاً بلغتهم، فكان معجزة لهم، حتى يوم القيامة. ولكن... هل انتهى تحدي القرآن الكريم للعرب؟! أو هل انتهت أوجه الإعجاز القرآني المتعلقة بلغتهم؟!.. أو أنها انحصرت بتلك التي رآها الباحثون والعلماء في القرون الأولى؟!...

والحقيقة؛ أن القرآن الكريم معجز إلى يوم القيامة، لا تنفذ معجزاته، ولا تنتهي. وفي المقابل، ما دامت اللغة العربية موجودة، وما دام هناك أقلام تبدع فيها وتكتب، وتنتج فكراً، وأدباً، وحضارة. فإن هناك إعجازاً قرآنياً، لكل ما يُبتدع. فلم ينحصر تحدي القرآن الكريم لفطاحل اللغة العربية بزمان نزوله فقط، بل هو ممتد لكل ناطق بالضاد، مبدع فيه إلى قيام الساعة. وفي كل عصر يتحدى أهله وفق شروط ذلك العصر ومتطلباته.

فأردت أن أنبه الأدباء والباحثين في مجال اللغة العربية إلى ألا يتركوا البحث في القرآن الكريم وأوجه إعجازه لعلماء الشريعة فقط، أو لعلماء العلوم الطبيعية والفلكية و... بل لا بُدَّ أن يكون لهم باع طويل في إظهار وتبيين أوجه الإعجاز القرآني الأدبي واللغوي. وقبل أن يقوموا بدراسة، أي لون أدبي، عليهم أن يبدؤوا أولاً بالقرآن الكريم - ضمن حدود قدسيته - مستخرجين منه ما يجعلهم رواداً لكل الفنون والآداب، لا تبعاً للغرب. فلو تنبه الباحثون والأدباء للسير القرآنية في وقت مبكر، لما حكموا بالريادة للسير الغربية والأدباء الغربيين.

٣- كثيراً ما لفت انتباهي أثناء اطلاعي في المكتبة العربية، وجود كتب تحت عنوانات تشير إلى أنها تبحث وتتحدث عن سير الأنبياء من القرآن الكريم حصراً، ولكن سرعان ما أفقد العنوان، وآخذ بالبحث عنه بين صفحات تلك الكتب، التي لا تأخذ من القرآن الكريم إلا آيات معدودة، لتكمل السير بالقصص المتنوعة والأخبار من الكتب الصحيحة، والآثار، وبعض الإسرائيليات. ومع وجود بعض الاستثناءات القليلة، إلا أنه في واقع الأمر، لا يوجد كتب اعتمدت في كتابة سيرها على القرآن الكريم وحده. لذا أردت أن أوضح أن القرآن الكريم يحوي سيراً متكاملة مكتملة، وهي الأساس الذي يبنى عليه أي دراسة للسير.

٤- أردت أن أقدم بحثاً جديداً في القرآن الكريم، لم تستهلكه الأقلام، ولم تملّه الأذهان، يعيد إلى المتلقي نشاطه وحماسه تجاه القرآن الكريم، فيدفعه إلى إعادة النظر فيه بالبحث والدراسة والاستقصاء، لاستخراج كنوزه.

وأولاً وأخيراً أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه إياي لهذا البحث الـذي استمتعت أشد الاستمتاع به، وكانت البداية مع موسى عليه السلام، فقد شدني ورود ذكره في عـدد كبير من سور القرآن الكريم، فأخذت أربط بين آيات كل سورة تحدثت عنه، ولما وصلت إلى النهاية، هالني وأدهشني ما وجدته، فأنا الآن أمام سيرة حياة متكاملة، لم تكرر الأحداث والمواقف، في كل سورة، بل هو تفصيل وشرح لجزئياتها ولقطاتها، ومن هنا بدأت البحث. فكانت الخطوة الأولى، أن قمت بجمع الآيات التي تتحدث عن بطل واحد من سـور القـرآن جميعاً، وعندما تم لي ذلك، بدأت دراسة السير التي أصبحت بـين يـدي، مـن حيـث نوعهـا، ومن حيث الطريقة التي عرضها بهـا القـرآن الكريـم، وكـان اعتمـادي الكبـير علـى دراسـة كتـاب د. مـاهر فهمـي، «السـيرة تـاريخ وفـن»، الـذي اطلعـت مـن خلالـه علـى أنـواع التشكيلات، وطبقتها على السير القرآنية. فجاءت الأطروحة وفق مدخل وخمسة فصول.

المدخل: تناولت فيه أ – معنى السيرة الوارد في المعجمات قديمها وحديثها. ثم، معناها الدلالي. وذلك من خلال عرض تعريفات لأدباء ونقاد، ومناقشتها. واقتضى البحث الحديث عن مصطلح الترجمة ومدلوله قديماً وحديثاً، لأنه أصبح بديلاً عن مصطلح السيرة في العصر الحديث.

ـ أقسام السيرة:

ثم تحدثت عن أقسام السير وفق المفهوم البشري. ثم عرضت لمعنى السـيرة لغويـاً كمـا جاء في القرآن الكريم. ثـم عرضـت أربـع عشـرة آيـة استخرجت منهـا تعريـف السـيرة في مفهومها الحديث. أي المعنى الاصطلاحي.

ب – تاريخ فن السيرة، منذ البدايات الأولى لظهورها. ثم عرضت الإشـارات البعيـدة والقريبة التي أشارت إلى وجود سير قرآنية، وبعد بحث ومناقشة، وصلت إلى التاريخ الحقيقي لفن السيرة، وهو تاريخ نزول القرآن الكريم، وكانت الأيدي البشرية قد أخرت ظهور هـذا الفن عدة قرون عن تاريخه الأصلي.

الفصل الأول تناولت أنواع السير القرآنية، وهي السيرة التاريخية والسيرة الأدبية.

وبعد الحديث عن تعريف السيرة القرآنيّة وتاريخها، وأنواعها. كان لا بد من الدخول في صميمها، والبحث في بنيتها، لتتوضح طريقة عَرضها، وأسلوبها... فجاءت الفصول الأربعة التالية من الرسالة لتبحث في هذا الجانب ضمن التشكيلات التالية:

الفصل الثاني: التشكيل الطولي، وتناولت فيه سير كل من يوسف، وموسى، وعيسى عليهم السلام.

الفصل الثالث: التشكيل الحر تناولت فيه سير كل من نوح وإبراهيم عليهما السلام.

الفصل الرابع: التشكيل الدائري اقتصر على سيرة محمد ﷺ.

الفصل الخامس: الصورة الجانبية (صورة الموقف) اشتمل عدداً كبيراً من الأنبياء ومن نماذج بشرية مختلفة ومتنوعة.

وكنت أعرض في كل الفصول السابقة، لتعريف أو مفهوم كل تشكيل، ثم أمثلة من السير البشرية التي عُدت رائدة في هذا المجال، وبعد ذلك أنتقل إلى السير القرآنية لأوضح بالشرح والتمثيل كيف أن هذا المفهوم موجود فيها، وأن الريادة الحقيقية لها. ثم أفصل الحديث عن تقنيات كل تشكيل وخصائصه، وأتبع المنهج نفسه. فأعرض لنماذج بشرية، لأنتقل منها إلى السير القرآنية.

هذا المنهج فرضته طبيعة الموضوع، حتى أوصل الفكرة التي أريد توضيحها من جهة، وحتى أبيّن عظمة السير القرآنيّة وريادتها، ومدى التقصير في حقها من جهة أخرى.

و لم أقتصر على هذا المنهج في الفصول التي تناولت بنية السيرة، بل هذا هو منهجي في الأطروحة كاملة. وبذلك أصل من موجود ومعروف لدى الجميع، إلى حقيقة مجهولة، فيكون وقعها أقوى، وتأثيرها أعمق.

و لم أقصد المقارنة، فهيهات هيهات، أن تقارن السير الإلهية، بالبشرية، وقد أكدت على هذا الأمر في عدة مواضع من الرسالة.

الخاتمة: قدمت فيها نتائج البحث التي توصلت إليها.

كان العمل ممتعاً للغاية، غلبت متعته على صعوبته فذللتها، و لم أعد أذكر منهـا، إلا مـا هو واضح في الرسالة، وهو قلة بل نـدرة المصـادر والمراجـع، الـتي تتحـدث عـن فـن السـيرة بشكل عام. وافتقاد الكتب التي تناولت فن السيرة القرآنية.

وكان اعتمادي الرئيسي على كتاب الدكتور إحسان عباس: فن السير، وكتاب الدكتور ماهر فهمي: السيرة تاريخ وفن. وصادفني كم هائل من الكتب التي جذبتـني أسماؤهـا فـإذا مـا وصلت إليها، لم أجد فيها كلمة واحدة يمكن الاستفادة منها في بحثي.

كذلك البحث في السيرة القرآنيـة ذاتهـا، وفهمهـا والوصـول إلى بنيتهـا، سـهل ممتنـع، يحتاج وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً، وكان لزاماً عليّ أن أعود إلى عدد كبير من التفاسير، حتـى أعيش في جو الآيات وأفهم المراد منها، وأصنفها ضمن أي تشـكيل هـي، وقـد سـاعدني في هذا المجال كتب التفسير بالرأي لأنه في أحيان كثيرة يعبر عن الفكرة الـتي أريـد أن أذكرهـا، وأخص هنا كتاب تفسير الفخر الرازي.

وأخيراً، فهذا جهدي، وغاية وسعي، أقدمه بين أيديكم، فإن أصبت، فهـو مـن توفيـق الله وفضله وعونه، وإن أخطأت وقصرت، فهو من نفسي ونقصي، فهذا دأب البشر، ولكن حسبي أني لم أرد إلا خدمة القرآن الكريم، وخدمة لغته الشريفة الكريمة، السامية. والله مـن وراء القصد.

مدخـل

١ً – السيرة لغة واصطلاحاً.

٢ً – تاريخ فنّ السِّيرة.

١ً - السيرة لغة واصطلاحاً

تعد «السيرة» من المصطلحات المألوفة والمتداولة، والتي استقر معناها ورسخ في الأذهان والنفوس، منذ القديم، وحتى يومنا هذا.

وقد شاع استعمالها على أنها: (قصة تتعلق بحياة إنسان، ترك من الأثر ما جذب إليه التاريخ)[١]، أي هي (أحداث جرت في الماضي، ويعاد سردها، لتكون عبرة وعظة للأجيال المتعاقبة)[٢].

أ - السيرة لغة:

اتخذت «السيرة» معاني لغوية عديدة، نقلتها لنا المعاجم، ابتعد بعضها عن المعنى الدلالي لمصطلح السيرة، واقترب بعضها الآخر منه، بل عُدَّ أصلاً لغوياً له.

فقد جاء في المعاجم القديمة: (سار يسير سيراً ومسيراً، وتسياراً، ومسيرة، وسيرورة يقال: بارك الله في مسيرك، أي سيرك. فالسير: الذهاب، وسيّره من بلده: أخرجه. وفي حديث حذيفة تساير عنه الغضب، أي سار وزال، وسايره: أي جاراه، فتسايرا.

●- ويقال: سار القوم يسيرون سيراً ومسيراً، إذا امتد بهم السير في جهة توجهوا إليها. والسَّيرة: الضرب من السير. والسُّيرة: الكثير السير. والاسم من كل ذلك السِّيرة.

- حكى اللحياني: إنه لحسن السّيرة.

- والسيرة: السنة. وقد سارت، وسرتها، قال خالد بن زهير:

فلا تجزعنَّ من سُنَّةٍ أنت سِرْتَها ... فأولُ راضٍ سيرةٍ منَ يسيرُها

والسِّيرةُ: الطريقة، يقال: سار بهم سيرة حسنة. والسيرة: الهيئة. وفي التنزيل العزيز ﴿**سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى**﴾ [طه ٢١].

وسيّر مسيرةً: حدث بأحاديث الأوائل.

وسار الكلام والمثل في الناس: شاع، يقال: هذا مثل سائر.

---

(١) التاريخ والسير: حسين فوزي النجار. الدار المصرية؛ القاهرة، ١٩٩٤م. ص٦١.

(٢) السيرة الفنية في الأدب العربي حتى أوائل الثمانينات: د. مها العطار. مطبعة الداودي: دمشق. ط١/ ١٩٩٥م. ص١١.